● لقد مضت أكثر من اثنتين واربعين سنة على انطلاقة الثورة حتى الآن تحققت فيها منجزات هائلة بفضل كفاح الشعب اليمني وعون أشقائه وأصدقائه. أليس من الواجب علينا اليوم أن نقول لأولئك الذين لا يعجبهم العجب، والذين يحاولون تجاهل ماتراه أعينهم من جديد في الواقع وكأنهم لايريدون أن يروا الوطن وشعبه إلا مثلما كان عليه في ظل حكمهم البائد، اليس من الواجب أن نقول لهم هذا ما أنجزه الشعب اليمني بعد أن تحرر من حكمهم الاستبدادي البغيض، فهلا أوضحوا ماحققوه للشعب اليمني طوال فترة حكمهم، والتي امتدت أكثر من أربعين عاماً..؟

هلا أوضحوا ما قدموه لأبناء اليمن الذين اجلّوهم وأطاعوهم في المنشط والمكره بل وقدسوهم وفضلوهم على أنفسهم وقدموا لهم الأنفس قبل الأموال، في حين ضنوا عليهم بشربة ماء نظيفة ومدرسة لتعليم أولادهم وطبيب لمعالجة أمراضهم، بل كثيراً ما وقفوا حائلاً دون سعيهم لكسب أرزاقهم خوفاً من أن يدفعهم العيش الكريم إلى الكف عن ملاحقتهم واللهاث وراءهم من أجل قطعة خبز إن تفضلوا بها عليهم ويلحقونها بالقول (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً)..؟ هل يعقل أن يعامل المواطن اليمني بهذه الطريقة والمال في الأصل ماله والطعام من إنتاج أرضه..؟ هل يعقل أن يكون المواطن اليمني في مقاييسهم أقل إنسانية وأقل قدراً منهم، وأن عليه أن يبقى جائعاً ومريضاً وجاهلاً حتى لا يرتفع رأسه..؟ ألم تطبق الإمامة الحميدية «الإمام يحيى» على المواطن اليمني سياسة التجويع على مدى فترة حكمه عملاً بالمقولة التي نقل انه كان يرددها بلسانه وهي «إجوع كلبك يتبعك» هل يعقل أن يعامل المواطن اليمني من قبل الإمام يحيى بن محمد حميد الدين وأغلب أولاده كما يعامل الكلب..؟ أين هؤلاء وغيرهم ممن ساروا في ركب الأسرة الحميدية، أينهم جميعاً من أخلاق الرسول الأمين محمد بن عبدالله وصحابته الأكرمين..؟ وهل في معاملتهم للمواطنين اليمنيين على هذا النحو شيء من أخلاق الإسلام والتي يدعون بأنهم من حماتها..؟

هذا رصيد الثورة من المنجزات

فماذا قدمت الإمامة لليمن

٣-٣

● حتى لايقال باننا نتجنى على تلك الحقبة المظلمة من تاريخ اليمن هانحن وفي الحلقة الثالثة نستشهد بالبراهين التي وردت على لسان احد ابناء الإمام يحيى حميد الدين الذي وجه رسالة إلى الشعب يرثيه فيها مماهو واقع من ظلم بفعل اصرار والده على التمسك بنهجه الظالم وسياساته المتخلفة وجبروته الذي طال كل شيئ.. وكمال يقال «فقد شهد شاهد من أهله» حتى يقول سيف الحق ابراهيم في رسالته إلى الشعب: انكم تعلمون جميعا ما وصلت إليه الأحوال في هذه البلاد المنكوبة بسبب جور الظالمين وأعمال المستبدين الغاشمين الذين ضلوا طريق الخير والرشاد وسلكوا سبيل الغي والفساد واتبعوا اهواءهم وجعلوا اوامر القرآن ونواهيه وراء ظهورهم واستخفوا بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم:

فحكموا الناس بالباطل وتمادوا في النهب والسلب وأكل أموال المسلمين فقبضوا أيديهم عن الصرف في مصالح العباد والبلاد وأهملوا كل ما يعود على الأمة بالإصلاح والنجاح الى غير ذلك من أعمالهم التي أغضبت الرب سبحانه وتعالى وجعلت الناس يضجون ويدعون الله بأن يخلصهم من هذا الكرب ويفرج عنهم بزوال هذا العهد الجائر البغيض .

وكلكم يعلم ان المستبدين قد شطوا في استعباد الناس واضطهاد رجال الأمة وساقوا كل من يتوسمون فيه الإخلاص وحب الخير لأمته وبلاده الى سجون مظلمة موحشة يلاقون من وحشتها وثقل قيودها وقسوة سجانيها الويل والعذاب.

لقد أصبحت الحالة في اليمن لا تطاق ابدا وإن السكوت على ما نسمع ونرى في كل صبح ومساء جريمة واي جريمة وأنتم تعلمون انه ليس لمسلم يؤمن بعدل الله ان يسكت على هذا الظلم وأضاف:

– ايها العمال والحكام : لقد استخدمكم الظالمون لا لإقامة العدل والإحسان بين الناس ولا لحفظ الأمن والنظام في البلاد ولكنهم اتخذوكم جباة قساة تسوقون إليهم اموال المسلمين وتخضعون لهم رقاب إخوانكم من المواطنين وقد سلبوا منكم كل حق وجردوكم من كل سلطة فلا يسمعون لكم رأيا ولا يقبلون منكم صرفاً ولا عدلاً حتى دخل في روع الناس أنكم لا تصلحون إلا للشر ولا تقدرون إلا على الأذى فكيف ترتضون لأنفسكم هذه المنزلة بين مواطنيكم من المسلمين وبماذا ستواجهون الله رب العالمين وأنتم تعلمون انه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

يا مشائخ البلاد ونقباء القبائل: لقد كان لكم بين قبائلكم مقام كريم فكنتم اذا قلتم فعلتم وإذا امرتم أطعتم وكان الظالمون يعرفون لكم مقامكم وقدركم حينما كانوا يتزلفون اليكم ويطلبون مساعدتكم حتى إذا ما تم لهم الأمر وصفت لهم الدنيا تنكروا لكم ومنعوا حقوقكم وعوائدكم وافقروكم بعد الغنى واذلوكم بعد العزة فماذا انتم فاعلون والى متى انتم على الذل مقيمون ؟

أما أنتم ايها الزراع الكادحون فخطبكم عظيم وحالكم اليم وقد طال صبركم على جور الحكام والعمال وعسف المأمورين النهابين وأذية العسكر (المخططين والمنفذين) الذين يحتلون منازلكم وينتهكون حرمة بيوتكم ولطالما اعتبركم الظالمون خولاً وعبيداً تزرعون ليأكلوا وتجوعون ليشبعوا وتشقون ليسعدوا ثم إنهم لا يرحمونكم إذا أجدبتم ولا يساعدونكم اذا افتقرتم ولا يداوونكم اذا مرضتم وقد ضعفت احوالكم وتناقصت اجوركم وبعتم اراضيكم وهاجر بعضكم الى خارج البلاد فراراً من الظلم والعسف وطلباً للعيش الذي حرمتموه في وطنكم.

إن قلبي والله ليتفطر ألماً لحالتكم ولما تلاقونه من محن لا عداد لها ومصائب لا قبل لكم بها وإنني لأدعو الله سبحانه وتعالى ان يقرب اليوم الذي تذوقون فيه طعم العدل ولذة العيش الكريم.

وأنتم ايها التجار المنكوبون: إنكم من ضحايا هذا العهد الإستغلالي الفظيع الذي شل ايديكم وعطل أعمالكم وقضى على تجارتكم بمنافسة الولاة المتاجرين الذين أعمى الدينار بصائرهم فاستغلوا نفوذهم وسلطانهم في التجارة بين رعاياهم وتركوكم تنعون حظكم وتحتارون في تدبير عيشتكم وعيش من تعولون من أهلكم وأولادكم .

أيها الموظفون الصابرون: أنتم العاملون الدائبون والجنود المجهولون الذي سخرهم الظالمون لخدمتهم وتنفيذ مقاصدهم لا لخدمة الوطن ورعاية مصالح الأمة ومنعوا عنكم حقوقكم وقتروا عليكم في مرتباتكم وأرزاقكم واحوجوكم الى مد ايديكم والجرأة على أخذ اموال الناس من وجوه غير مشروعة وحرموكم من العزة والكرامة التي يتحلى بها موظفو الدولة في جميع حكومات العالم .

تعملون ليلاً ونهاراً ثم لا تجدون من يقدر اعمالكم وتقضون اعماركم في الخدمة ثم تتركون اولادكم من بعدكم فقراء لا يجدون حكومة ترعاهم ولا ولياً يكفلهم ويقوم بأمر معيشتهم وتربيتهم وانكم كما أعرف اكثر طبقات الأمة إدراكاً للأمور وفهماً للأوضاع واعظمها استعداداً للخير وأحوجها الى الرعاية والإنصاف .

أما انت ايها الجندي اليماني فلا يعتبرك الحاكمون الظالمون والطغاة المستبدون إلا خادماً مأجوراً لحراستهم وتنفيذ مقاصدهم الشخصية تسهر الليالي لينامو مطمئنين هادئين وتفترش الحصير وتلتحف السماء ليهنأوا في دورهم وقصورهم الشامخة وتلبس اخشن الثياب ليرتدوا الحرير والديباج وتمشي حافياً ليركبوا الخيول المطهمة وتأكل الخبز الجاف ليأكلوا ما لذ وطاب من الاطعمة وهم مع هذا كله لا يقدرون لك قدراً ولا يعترفون لك بحرمة بل يستخدمونك في أحط الأعمال والخدمات ويهينونك بأشد العبارات وأقذع الكلمات وهم مع هذا لا يتركون لك من ذلك المقر الضئيل بل يستردونه إليهم بالقطعيات والتقسيط ويحتالون عليه بتلك المعاملة التي لا يعامل بها أدنى العبيد.

والويل لك إذا مرضت فإنهم يعنون بحيواناتهم ولا يعنون بك والويل لأهلك إذا وافاك امر الله وصدرت الأوامر بأن يحصلوا منهم ما تركت وراءك من حصيرة ممزقة وملابس مهلهلة «انتهت الرسالة».

برغم أهمية وصواب النصائح ويقين الإمام يحيى من سلامة نوايا الناصحين وإخلاصهم والاسلوب المهذب الذي اتسمت به برغم ذلك كله لم يلمس مقدموها استجابة من قبله وهو يعلم أنها نابعة من قلوب نظيفة وعقول واعية وعارفة بأحوال الناس وبالتالي يعلم ان الناصحين لايبتغون من وراء نصحهم له مالاً أو جاهاً ومع ذلك كان يعتبر النصح بالاصلاح دعوة للفساد وخروجاً على تقاليد اليمنيين والعادات الموروثة وتوجهاً لتقليد النصارى.

ولما لم يقبل الإمام يحيى نصحاً واستمر في تجاهله حالة البؤس الشامل في حياة الناس بدأت الصفوة من العلماء والمشائخ وضباط الجيش العمل على تغيير الأوضاع بأية طريقة وكان ما كان في السابع عشر من فبراير ١٩٤٨م مما يعلمه الجميع وكان الثمن الذي دفعته الحركة الوطنية باهظاً بعد أن انتصر ولي العهد آنذاك أحمد يحيى حميد الدين على الثورة حيث أعدم أكثر من ثلاثين عالماً وضابطاً وشيخاً دون أيه محاكمة واعتقل العشرات ايضاً في سجون فريدة من نوعها .

وقد ظن الإمام أحمد في حينه انه قد تمكن من القضاء على من يمكن ان يشكلوا من وجهة نظره خطراً على حكمه مستغلاً مقتل أبيه حجة للتخلص منهم بينما كان هو في قرارة نفسه يتوق الى ان يرى نهاية سريعة لحياة والده الذي بلغ من العمر ٨٣ عاماً حتى يتمتع بالملك من بعده ومن هذه الشخصيات زيد الموشكي والبراق واحمد المطاع ومحيي الدين العنسي والخادم الوجيه وجمال جميل والقردعي وغيرهم من المناضلين.

أما الذين سلموا من الذبح وهم أكثر عدداً فقد سجنوا لمدة طويلة في أسوأ سجون العالم وأهينوا وعذبوا فيها عذاباً جسدياً ومعنوياً يفوق ما يتحمله البشر في أي شريعة في الدنيا أكانت سماوية أو وضعية تجيز ارتكاب هذه الجريمة النكراء شرعاً وقانوناً وأخلاقاً ..؟ اين الشرع الإسلامي من هذا كله ..؟ وهل يجيز الإنتقام او المقاصة بهذه الطريقة البشعة العمياء..؟

لقد أكد الإمام أحمد يحيى حميد الدين بتصرفه هذا أنه لا يحسب اي حساب لقتل النفس البشرية ولا يهم بالنسبة له كما يبدو ان يكون المقتول على يده عالماً أو جاهلاً أو متعاطفاً وإلا فكيف يقرر إعدام ثلاثين شخصاً وهو يعلم ان ذلك يخالف الشرع ويتنافى مع أبسط مبادئ العدالة السماوية ويعقب ذلك بارتكاب جريمة اخرى بنفس الأسلوب فقد اعدم ستة عشر عالماً وضابطاً وشيخاً في أعقاب حركة مارس عام ١٩٥٥م وعلى رأسهم قائد الحركة المقدم احمد الثلايا وفي عام ١٩٥٩م أمر بإعدام ثلاثه من ابرز مشائخ اليمن دون محاكمة بعد أن اعتقلهم وكل ذنبهم كمن سبقوهم هو المطالبة بالإصلاح وهؤلاء هم :الشيخ حسين بن ناصر بن مبخوت الأحمر وإبنه الشيخ حميد وكذلك الشيخ عبداللطيف بن قائد بن راجح بهؤلاء الأبطال الثلاثه يصل عدد الذين اعدمهم الإمام احمد حميد الدين بدون محاكمة الى إحدى وخمسين شخصية معظمهم من أبرز رموز اليمن ومناضليه ومثقفيه.

ألم تكن هذه جريمة إبادة جماعية

بقلم السفير/
صالح علي الاشول

ارتكبها الإمام أحمد بن حميد الدين ..؟

فإذا أضيفت إليها مظالم الإمام يحيى وما ترتب عليها من تخلف وضعف ما زال المواطنون اليمنيون يعانون من ذيولها حتى الآن .

يصبح من المنطقي اعتبار عهد الإمامة الحميدية عهداً مظلماً ودموياً الى أبعد الحدود.

المراجع :

١ـ حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام / يحيى بن محمد حميد الدين للدكتور / أحمد قائد الصائدي .
٢ـ الدبلوماسية اليمنية : للسفير ، د / علي عبدالقوي الغفاري.
٣ـ وثائق اولى عن الثورة اليمنية .. المشير / عبدالله السلال – القاضي / عبدالرحمن الإرياني – عبدالسلام محمد صبره .
٤ـ كتاب الإحصاء السنوي للعام ٢٠٠٢م الجهاز المركزي للإحصاء.
٥ـ اليمن من الإمامة الى الجمهورية د/ عبدالله فارع العزعزي .
٦ـ الخروج من النفق المظلم : معالم سيرة ذاتية .. الأستاذ المرحوم / أحمد حسين المروني .
٧ـ الطريق الى الحرية : مذكرات العزي صالح السنيدار .
٨ ـ كيف نفهم القضية اليمنية ؟ محمبد عبدالله الفسيل – احمد محمد الشامي.